كيان آخر يسكنها

نسمة طارق

تجلس صامتة ينسدل شعرها المموج على كتفيها وتلمع في عينيها الزرقاوين حبات الدمع فتبدو كسحابة ممتلئة بالمطر، أخذتها ذاكرتها إلى ذلك اليوم البعيد عندما شعرت بشيء يسكنها لا لم يكن شيئا بل كان كيانا آخر يسكنها. كيان شخص تحاول دائما أن تقلده وتحرك يدها في أثناء الكلام مثلما يفعل. كان هو وحده فارس أحلامها الوردية. تعودت القلق في النوم خشية نطق اسمه. كانت أسعد لحظاتها حينما يأتي لزيارة أخيها. وتقدم له الشاي الأخضر بأوراق النعناع وتضع حبة سكر وتقلبها ببطء مفتعل كي تختلس من الزمن أكبر عدد من اللحظات تكون فيها جواره. ثم تجلس بالقرب من غرفتهم حتى تظفر بسماع ضحكته أو صوته الدافئ الساحر وهو يتحدث عن عشقه للبحر. كم كانت تغار عليه منه، كم كانت تتمنى أن يعشقها نصف عشقه له. أقسمت بينها وبين قلبها أن يكون هو أول من يسمع اعترافها بعشقها له؛ لذا لم تخبر أحدا قط بسرها.

وفجأة أفاقتها من دوامة الذكريات يد حانية جذبتها بشفقة وأدخلتها غرفتها الصغيرة.

وعندما اختلت بنفسها ذهبت إلى النافذة الصغيرة وظلت تنظر إلى البحر البعيد، وتذكرت يوم كانت تجلس على شاطئ البحر تبني قصرا من الرمال

obeikan.com

وفجأة جاءت موجة قاسية ضربته بشدة فانهار، عندما رآها غاضبة تقدم إليها وهمس قائلا إن قصر الأحلام مكانه الخيال وليس الرمال.. وصمت ليسبح في بحر عينيها الزرقاوين ثم قال بكلمات حفرت بداخلها كالنقش على الصخر: «بحبك». لم تضحك يوما ضحكة عالية مثل تلك التي أطلقتها في ذلك اليوم، لم تكن ضحكة سعادة بقدر ما كانت ضحكة انتصار.. لقد انتصرت على البحر وشاركته قلبه.

ووعدها باللقاء ثانية.. كان لقاؤهما دائما في الغروب كي يودّعا الشمس ويستقبلا القمر معا.

كانت دائما تلومه وتعاتبه على حبه الزائد للبحر، وكان دائما يقول لها إنه أحبها لأنها تشبه البحر فعيناها تحملان لونه وجسدها يحمل لون رمله وشعرها يشبه موجه.

وبعد قليل بدأت تصرخ فجرى الطبيب والممرضات نحوها وشرعوا في مواساتها.. ظلت تقول: لماذا أحبته أكثر مني؟ لماذا فضلت البقاء معه دوني؟ لماذا لم تستطع مقاومته؟ لماذا رضيت بأن يكون مثواك الدائم؟ ألم تقل إن قصر الأحلام مكانه الخيال؟ فصدقتك وطالما صدقتك فبنيتك قصرا في خيالي لكن كان موجه عاليا فطال خيالي وهدم قصري. وأخذت تصرخ وتناديه إلى أن ضعفت قوتها من مقاومة أيادي الممرضات فخرت جالسة تهمس بألم: «سوف أنتظرك الليلة، سوف أنام مبكرا، لا تتأخر عليّ».

حملها الممرضات ووضعنها على سريرها وخرجن بعد إعطائها العقار المنوم الذي لا تنام من دونه.

وكل صباح تجلس بنفس الصمت وتتذكره!!